

الجدور الاجتماعية لمجتمع الكوفة ابان واقعة الطف

د.حنان عباس خيرالله

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

المقدمة

تُعد مدينة الكوفة من أهم المدن العربية والإسلامية ، لما لها من مكانة دينية وموقع جغرافي مهم ، بالإضافة إلى الوقائع المهمة التي توالى على أرضها. وقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في صياغة كثير من الأحداث ، ناهيك عن أثرها في تبلور كثير من المسارات العلمية والثقافية.

كانت الكوفة أمية قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها وعاداتها وتقاليدها فكان فيها العربي والفارسي والنبطي والسرياني إلى جانب العبيد وغيرهم. وأما القبائل العربية التي سكنت الكوفة فكانت عبارة عن القبائل اليمينية وهي تشمل: قضاة ، غسان ، بجيلة ، خثعم ، كندة ، حضرموت ، الأزدي ، مذحج ، حمير ، همدان ونخع. والقبائل العدنانية وتشمل: تميم وبني العصر. وكذلك كان فيها قبائل بني بكر وهي عبارة عن: بني أسد ، غطفان ، ومحارب ونمير.

وقد ساهمت العصبية القبلية في عدم وجود حالة وفاق اجتماعي ، حتى إذا حصل وفاق في مكان ما كان سريعاً ما يتم القضاء عليه ، حيث كان الأساس هو التآمر. إن التركيب غير المتوازن والغالب على هذه المدينة ، قد منح بعض المجموعات القدرة على تغيير السياسة الحاكمة في كل آن ، وأن يجذب المجتمع نحو جهة معينة أخرى.

ومن خلال هذا البحث سنتحدث بمزيد من التحقيق عن طبيعة المجتمع الكوفي ، فإنه المرأة الذي تنعكس عليه الأحداث الهائلة التي لعبت دورها الخطير في تاريخ الإسلام السياسي ، وأن نبين العناصر التي سكنت الكوفة وننظر إلى طبيعة الصلات الاجتماعية فيما بينهما ، والحياة الاقتصادية التي كانت تعيش فيها اثناء وقوع معركة الطف واثار التكوين الاجتماعي في ردود المجتمع الكوفي ازاء تلك الاحداث .

❖ تركيب المجتمع الكوفي

بنيت الكوفة عام ١٧ ق بأمر من عمر باعتبارها مدينة عسكرية ، فاجتمع فيها عدد من القبائل التي وفدت من أماكن متعددة وثقافات مختلفة. وعلى هذا الأساس فهذه المدينة

الحديثة الوجود كانت تفتقد للهوية التاريخية ، وهي مليئة بالأخطار بسبب عدم التناسب والانسجام بين ساكنيها^(١). وقد كتب أحد المحققين حول الذين سكنوا الكوفة وطوائفها والأديان المنتشرة فيها ما يأتي:

كانت الكوفة أمة قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها وعاداتها وتقاليدها فكان فيها العربي والفارسي والنبطي والسرياني إلى جانب العبيد وغيرهم. وأما القبائل العربية التي سكنت الكوفة فكانت عبارة عن القبائل اليمنية وهي تشمل: قضاة ، غسان ، بجيلة ، خثعم ، كندة ، حضرموت ، الأزدي ، مذحج ، حمير ، همدان ونخع. والقبائل العدنانية وتشمل: تميم وبني العصور. وكذلك كان فيها قبائل بني بكر وهي عبارة عن: بني أسد ، غطفان ، ومحارب ونمير^(٢).

وهناك قبائل عربية أخرى استوطنت الكوفة وهي: كنانة وجديلة وضبيعة ، وعبد قيس وتغلب وأياد وطي ، وثقيف وعامر ومزينة^(٣).

سادت في قبائل مجتمع الكوفة الروح القبلية ، فكانت كل قبيلة تنزل في حي معين لها لا يشاركها فيها إلا حلفاؤها ، كما كان لكل قبيلة مسجدها الخاص ، ومقبرتها الخاصة ، وعاش في الكوفة أتباع عدد من الأديان ، فكان إلى جانب المسلمين بفرقهم المختلفة ، المسيحيون واليهود^(٤).

لقد دفعت الحساسيات والعصبيات القبلية أهل الكوفة إلى الإسراع في اتخاذ القرارات عند مشاهدة أقل نفع أو ضرر كي لا تتقدم عليها القبائل الأخرى. وبعبارة أخرى: جعلتهم تلك العصبيات أشخاصاً متسرعين ، لا يمكنهم اتخاذ قرارات انطلاقاً من التعمق والدراسة ، وبالتالي وقعوا في المهلكات .

وقد ساهمت العصبيات القبلية في عدم وجود حالة وفاق اجتماعي ، حتى إذا حصل وفاق في مكان ما كان سريعاً ما يتم القضاء عليه ، حيث كان الأساس هو التآمر. إن التركيب غير المتوازن والغالب على هذه المدينة ، قد منح بعض المجموعات القدرة على تغيير السياسة الحاكمة في كل آن ، وأن يجذب المجتمع نحو جهة معينة أخرى.

ومن الخصائص الأخرى للأفراد العسكريين والحاملين للسلاح ، عدم الانضباط والطاعة للحاكم ، وهذا غير مختص بأهل الكوفة.

يقول ابن أبي الحديد: "قيل: إن أهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين، وكانوا قبائل في الكوفة، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلة فيمر بمنازل أخرى فينادي باسم قبيلته: يا للنخ مثلاً أو يا لكندة نداءً عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشر، فيتألب عليه فتيان القبيلة التي مرّ بها فينادون: يا لتميم ويا لربيعة ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه، فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها، فتسل السيوف وتثور الفتن" (٥).

❖ حالة المجتمع الكوفي قبل ورود الامام الحسين (ع)

تميز المجتمع الاسلامي في العصر الاموي بخصلتين وهما الصراع الاجتماعي القبلي الذي كانت تغذية الايادي الاموية والتي من مصلحتها توهين المجتمع للانفراد بالسلطة والخصلة الثانية هو الامتداد الجغرافي للدولة الاسلامية ودخول قوميات وامم في الاسلام بسطوة السيف من غير ان تنتقل لهم روح الاسلام والذين كانوا يشعرون بالانتقاص من العرب المسلمين واشتداد الصراع الاجتماعي بين طبقات وفئات المجتمع فكان عبارة عن خليط غير متجانس من غير الممكن ان يؤول الى الاستقرار لعدم توفر اواصر المساواة الاجتماعي، فكان مجتمعا هشا غير متماسك اثرت فيه الحروب والطبقية فزعزعت هويته الاسلامية في مثل هذه الاجواء تحرك الامويون للسيطرة على المجتمع وتوهين اساسه الاسلامي والعودة الى الجاهلية التي سيطرت على الحكام الامويون (٦). لذلك نشاهد عدم الاستقرار الذي كانت تعيشه المدن الاسلامية في الكوفة والبصرة والشام وغيرها مما أدى الى شروخ كبيرة في العالم الاسلامي وكان اكبرها واعظمها حادثة كربلاء التي اعطت انطبعا واضحا عن طبيعة المجتمع انذاك عندما يقول احدهم (املاً ركابي فضة او ذهباً.... اني قتلت السيد المحجبا) فهو اعتراف صريح بأن الغاية قتل الامام الحسين كانت شخصية (٧).

عند دخول مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ومحاصرته لقصر الكوفة بصحبة ثلاثون الف من الانصار لكن الخبث الاموي الذي كان يعلم بغايات اكثر الناس ومصالحهم الشخصية فكانوا ما بين طامع ومنتقم وناقم ومبغض ولم يحملواهم القضية الحسينية في الاصلاح والعدالة والمساواة والقيم الاسلامية الاخرى التي من اجلها خرج الحسين (عليه السلام) ولذا تم خداعهم بسهولة بتوزيع المال او التخويف بالجيش

الشامي او التهديد والوعيد للمخالفين والامان للموافقين وبما ان مصالحهم قد تحققت قالوا على عدم اراقة دمائهم فلم ينتهي مسلم بن عقيل من صلاته الا بثلاثة نفر ثم بعد ذلك ترك وحيدا فريدا وكذلك مارس المجتمع نفس الحالة مع الامام الحسين (عليه السلام) الذي دعي ليكون اميرا فاذا بهم ينقلبوا على نواتهم التي كانت تعيش حالة الفردية والمصلحة الشخصية بعد ان متهم الدولة الاموية بالمال والمناصب فاصبحوا من مناصرين وفدائيين للامام الحسين (عليه السلام) الى وحوش كواسر تريد ان تحصل على غنيمتها من ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرجوا عليهم بجيوشهم الجرارة لقتاله والقضاء على الاسلام بقتله لانهم يعيشون حالة البداوة والتعصب والجاهلية فلم يكن بالحقيقة مجتمع مسلم متكامل بل خليط من اناس مسلمون اكتسبوا من الاسلام الرقي الاجتماعي في التعامل مع ابن بنت نبيهم على انه المفهوم الحقيقي لتوحيد الله واناس لم يكتسبوا الاسلام الا اسمه ولم يفقهوا من الدين شيء واخرون اعتبروا الدين وسيلة لتحقيق المكاسب الشخصية وكل هذا خلفية لغربة المجتمع الكوفي من قبل الامويين وفرز الزمر على قائمتين الاولى لمناصرين الامويين والثانية لمخالفينهم ومن ثم محاربة المخالفين لهم حتى تهجيرهم... فهو مجتمع مفكك متناقض لم يستطيع الصمود امام المكر الاموي فغلبة نزعتهم الفردية على طبيعتهم الاجتماعية وكانت النتيجة ان قتلوا سيد شباب اهل الجنة الحسين الشهيد (عليه السلام) والتمثيل به بما تأباه الانسانية فضلا عن الدين وليكون الحسين (عليه السلام) قضية رأي عام نادت به كل المجتمعات للوصول الى الحرية والعدالة والاستقرار^(٨).

وعلى الجملة ، فإن المجتمع الكوفي في ذلك الوقت كان يتكوّن في الأعم الأغلب من الفئات التالية:

١ - الشيعة

فلا ريب في وجود جماعة من شخصيات الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام في الكوفة... من أمثال:

سليمان بن صرد ، المختار بن أبي عبيد ، حبيب بن مظاهر ، مسلم بن عوسجة ، هاني بن عروة ، والأصبغ بن نباتة...^(٩).

٢- الحزب الأموي

هؤلاء أيضاً كانوا جماعةً من أشرف الكوفة، كالذين كتبوا إلى يزيد يشكونه في أمر «النعمان بن بشير»، وقد عبر عنهم يزيد في كتابه إلى ابن زياد بـ «شيعتي»، وكالذين تعاونوا مع ابن زياد في القضاء على مسلم بن عقيل وأصحابه، فمن رجال الحزب الأموي في الكوفة:

حصين بن نمير، محمد بن الأشعث بن قيس، عزرة بن قيس، كثير بن شهاب، القعقاع بن شور الذهلي، خالد بن عرفة، أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، عبيد الله بن عباس السلمي، سمرة بن جندب، يزيد بن الحارث، أسماء بن خارجة، حجار بن أبجر، شمر بن ذي الجوشن، بكر بن حمران الأحمرى^(١٠).

لقد كان هؤلاء وغيرهم حول ابن زياد، وهم الذين جعلوا يخذلون الناس عن مسلم عليه السلام، وعلى أيديهم تم القضاء عليه وعلى أصحابه، وكان لهم دور في حشد الناس لحرب الإمام عليه السلام، ثم خرجوا يقودون الجيوش لحربه.

وقد كان جماعة من هؤلاء عيوناً ليزيد، كمسلم بن سعيد الحضرمي، وعمارة بن عقبة، وعبيد الله الحضرمي، ومسلم بن عمرو الباهلي^(١١).

وقد جاء أن الرجل الأخير - مسلم بن عمرو الباهلي - قد خاطب مسلم بن عقيل قائلاً له: «أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته»^(١٢).

وفي «تاريخ دمشق» ومختصره: «كان عظيم القدر عند يزيد...»^(١٣).

٣- الخوارج

هؤلاء كانوا كثرةً أيضاً، وفيهم جماعة من الأشراف، ولذا لما خطب ابن زياد في أول خطبة له في الكوفة، أمر بأن تكتب له أسماؤهم، ولعل من أشهرهم: «الأشعث بن قيس» و «شيث بن ربعي» و «عمرو بن حريث»^(١٤).

الأشعث بن قيس: وقد روي في أخبار كثيرة، أن هذا الملعون بايع ضباً - مع جماعة منهم: عمرو بن حريث وشيث بن ربعي - خارج الكوفة، وسموه أمير المؤمنين^(١٥).

شَبَّثَ بن ربيعي : بايع - مع جماعة - الضبَّ بدلا عن أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: إنهما سواء^(١٦).

قال شَبَّث: أنا أول من حرّر الحُرورية^(١٧).

عمرو بن حريث : كان من الصحابة ، وهو أول قرشي اتخذ الكوفة داراً ، وكان من أغنى أهل الكوفة ، وولي لبني أمية بالكوفة ، وكانوا يميلون إليه ويتقوون به ، وكان هواه معهم ؛ فالرجل قرشي مخزومي. كانت له يد في قتل ميثم التمار^(١٨) .

❖ اهل الكوفة في عصر الإمام الحسين عليه السلام

بعد أن رفض الإمام الحسين عليه السلام إعطاء البيعة ليزيد ، اغتتم أهل الكوفة الفرصة وبعثوا إلى الإمام رسائل كثيرة يطلبون منه تشكيل الحكومة في الكوفة. أرسل الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة لدراسة أوضاعها. بعد أن تمكّن مسلم من الحصول على البيعة استطاع بمساندة أهل الكوفة محاصرة الحاكم في قصره ، إلّا أنهم تخلّوا عن مسلم دفعة واحدة ، وانتهى به الأمر إلى الاستشهاد على يدي الحاكم. بالإضافة إلى ذلك انحاز أهل الكوفة إلى صفوف العدو في محاربة الإمام عليه السلام^(١٩). بسبب أهمية المسألة ، فقد ارتسمت صورة في الأذهان عن المجتمع الكوفي ، صورة غير متعارف عليها. لذلك كان ينبغي دراسة هذا البلد وتقييمه في ضوء علم الاجتماع لتتضح أسباب وعلل عدم الوفاء عند أهل الكوفة.

حصلت حادثة عاشوراء بعد عشرين سنة من شهادة الإمام عليّ عليه السلام أن أهل الكوفة ، في هذه المدة ، تعرّضوا لأقصى أنواع الضغوطات ، فقتل الكثير منهم وهاجر آخرون. فلو لم تقع هذه الحوادث ، لكان جيل عصر الإمام الحسين عليه السلام جيلاً جديداً. لذلك فأهل الكوفة في عصر الإمام عليه السلام ليسوا هم أهل الكوفة في العصور السابقة ، ولذا ومن أجل التعرف على هؤلاء في العام ستين للهجرة لا يمكن التمسك بكلّ الأخبار التي تتحدث عن السنين السابقة.

لا يمكن الاعتماد على الإحصاءات التي تحدّثت عن عدد سكان الكوفة قبل ثورة الإمام الحسين عليه السلام لمعرفة عدد سكّانها في عصر الثورة ، والسبب في ذلك أنّه وبعد شهادة الإمام عليّ عليه السلام وتولّي زياد ابن أبيه (م ٥٣ ق) الكوفة حيث نصبه

معاوية والياً عليها في العام خمسين ، فقد عمد إلى ممارسة الضغوطات القاسية على الشيعة^(٢٠). وقد عمل زياد على ملاحقة الشيعة وقتلهم أينما وجدهم وتحت كل حجر ومدر. كان زياد يمارس أقصى أنواع التعذيب ضد الشيعة ، فيقطع الأيدي والأرجل ويعلق على المشانق ، ويشمل الأعين بالحديد المحمى بالنار ، وينفيهم إلى أماكن مختلفة ، بحيث لم يبق في العراق أي شخص من الشيعة المشهورين^(٢١).

بناءً على ما تقدّم ، ينبغي الرجوع إلى الإحصاءات التي حصلت في عصر الإمام الحسين عليه السلام لمعرفة عدد سكان الكوفة. وأما بعض العبارات التي دونها أهل الكوفة في رسائلهم عند دعوتهم الإمام الحسين (عليه السلام) ، فكانت على النحو الآتي: "إنا معك مائة ألف"^(٢٢)، "أقدم علينا فنحن في مائة ألف"^(٢٣). وبما أن جميع أهل الكوفة لم يكونوا مواليين للإمام الحسين عليه السلام لذلك يمكن الحدس بأن عدد سكان الكوفة في عصر الإمام عليه السلام أعمّ من المحارب وغير المحارب ، الكبير والصغير، المرأة والرجل ، كانوا حوالي مائة وخمسين ألف نسمة. وقد جاء في بعض المرويات أنهم كتبوا للإمام عليه السلام فقالوا: "إنّ لك ها هنا مائة ألف سيف"^(٢٤) ، وهذا من جملة المبالغات أو الأخطاء حيث تشير أعلى الإحصاءات والتقديرات بأن الذين بايعوا الإمام عليه السلام لم يتجاوز عددهم الأربعين ألفاً .

❖ طبيعة المجتمع الكوفي

١- من الناحية القومية:

ينبغي علينا أن نتعرف في البداية على التركيبة السكانية للمجتمع الكوفي في وقت النهضة الحسينية ، إذ كان يعيش في الكوفة أقوام من الفرس والروم والترك والأكراد ، وأكثرهم من بقايا الجيش الفارسي المهزوم من أسرى الحرب ، وكان هؤلاء يشكلون حوالي نصف سكان الكوفة أو أكثر ، وكان منهم شرطة ابن زياد وجهازه الأمني ، وقد بلغ من استفحال أمر هؤلاء الموالي أن نسبت الكوفة إليهم ، فقليل: الكوفة الحمراء ، باعتبار أن أكثر هؤلاء الموالي هم من الشعوب الآرية التي تميل ألوان بشرتهم إلى اللون الأحمر.

٢- من الناحية الدينية:

لم يقتصر التركيب السكاني للمجتمع الكوفي على خصوص من ذكرنا ، بل كان هناك عدد غير قليل من اليهود والنصارى ، وكانت بأيديهم مصانع السلاح ومصادر المال والذهب ، وكانوا يمولون السلطات في سعيها لقمع حركة مسلم بن عقيل (ع) ، ولإغراء الناس بالأموال وتشبيطهم عن نصرة الإمام الحسين (ع) ^(٢٥).

ان مثل هذا الوجود لليهود والنصارى في هذا المجتمع يجعلنا نخرج بنقطة مهمة أيضاً ، وهي نفي الصبغة الإسلامية التامة عن المجتمع الكوفي ، فضلاً عن الصبغة الشيعية المطلقة كما يتصوره الكثير ، حيث أن وجود عدد من اليهود والنصارى ، ولو كان بنحو من الأقلية يمنع من إعطاء صورة مطلقة للمجتمع الكوفي بحيث يقال إنه علوي النزعة بأكمله ، فلا وجود فيه لتيار إسلامي أو معتقد ديني آخر ^(٢٦).

٣- من الناحية السياسية:

ان من أهم النقاط التي ينبغي ملاحظتها ونحن نسعى لدراسة المجتمع الكوفي وتركيبته السكانية ، عدم إغفال الانتماءات السياسية لأبناء هذا المجتمع ، لأن ذلك ينفع كثيراً في تحديد الشخصيات التي خرجت لقتال الحسين (ع) ، وأنها كانت تنتمي سياسياً للخط العلوي الحسيني أو أنه كان لها انتماء سياسي آخر ^(٢٧).

هذا والصحيح أننا عندما ندرس المجتمع الكوفي من ناحية الانتماء السياسي نصل إلى أنه كان يحتوي على أحزاب عديدة ، فهناك الحزب الأموي ، كما كان هناك الحزب الحاكم ، وكان هناك حزب الزبيريين ، كما كان هناك حزب الخوارج ، وقد كانت هناك الانتماءات الشيعة التي تمثل خط المواليين لأهل البيت (ع) ^(٢٨).

لا يخفى على أحد من المتأملين في المصادر التاريخية أن مراكز القوة والتأثيرات السياسية والاجتماعية والأمنية ، كانت بيد الأمويين ، ومن ينتمي إليهم.

٤- من الناحية القبلية:

لقد كانت أكثر قبائل العراق موالية للأمويين ، وكانت الأموال تصرف بسخاء لشراء زعماء تلك القبائل.

من الواضح أن هذا وأمثاله قد سهل على ابن زياد الانفراد بالأقلية الشيعية وشل حركتها ومنعها من نصرة الإمام الحسين (ع) ^(٢٩).

ومن هذا الخليط غير المتجانس تكون الجيش الذي قاتل الإمام الحسين (ع) في كربلاء ، وهو ما يفسر لنا كثيراً من المواقف التي حدثت في ساحة المعركة ، لقد كان القوم يقولون للحسين (ع): إنما نحاربك بغضاً لك ولأبيك. ولا يخفى على أحد أن مثل هذا الكلام إنما هو كلام حاقد موتور ، وليس كلام محب غيور على الوقوف مع الجيش الأموي^(٣٠).
٥- من الناحية الاقتصادية:

أما الناحية الاقتصادية في الكوفة فكانت تتسم بعدم التوازن فقد كانت فيها الطبقة الارستقراطية التي غرقت في الثراء العريض فقد منحتها الدولة الاموية أيام عثمان ومعاوية الهبات والامتيازات الخاصة فاثرت على حساب الضعفاء والمحرومين ، ومن بين هؤلاء:

١- الاشعث بن قيس ، وقد اشترى في أيام عثمان أراضي واسعة في العراق ، وكان في طليعة الاقطاعيين في ذلك العصر ، وهو الذي ارغم الامام على قبول التحكيم لان حكومته كانت تهدد مصالحه وامتيازاته الخاصة.

٢- عمرو بن حريث ، وكان اثرى رجل في الكوفة ، وقد لعب دوراً خطيراً في افساد ثورة مسلم وشل حركتها.

٣- شيبث بن ربعي ، وهو من الطبقة الارستقراطية البارزة في الكوفة ، وهو أحد المخذلين عن مسلم ، كما تولى قيادة بعض الفرق التي حاربت الحسين عليه السلام^(٣١). هؤلاء بعض المثرين في ذلك العصر ، وكانوا يدا لابن مرجانة وساعده القوي الذي اطاح بثورة مسلم ، فقد كانوا يملكون نفوذاً واسعاً في الكوفة وقد استطاعوا أن يعلنوا معارضتهم للمختار رغم ما كان يتمتع به من الكتل الشعبية الضخمة المؤلفة من الموالي والعبيد ، وهم الذين اطاحوا بحكومته .

أما الاكثرية الساحقة في المجتمع الكوفي فكانت مرتبطة بالدولة تتلقى موادها المعاشية منها باعتبارها المعسكر الرئيسي للدولة فهي التي تقوم بالاتفاق عليها ، وقد عانى بعضهم الحرمان والبؤس ، وقد صور الشاعر الاسدي سوء حياته الاقتصادية بقصيدة يمدح بها بعض نبلاء الكوفة لينال من معروفه وكرمه يقول فيها:

يا أبا طلحة الجواد اغثني ❖ بسجال من سبيك المقسوم

أحي نفسي فدتك نفسي فاني ❖ مفلس قد علمت ذاك عديم
 أو تطوع لنا بسلت دقيق ❖ أجره ان فعلت ذاك عظيم
 قد علمتم فلا تعامس عني ❖ ما قضى الله في طعام اليتيم
 ليس لي غير جرة واصيص ❖ وكتاب منمنم كالوشوم
 وكساء أبيعه برغيف ❖ قد رقنا خروقة باديم
 واكاف اعارنيه نشيط ❖ هو لحاف لكل ضيف كريم^(٣٢)

ان الحياة الاقتصادية تؤثر أثراً عميقاً وفعالاً في كيان المجتمع ، وتلعب دوراً خطيراً في توجيه المجتمع نحو الخير او الشر ، وقد ثبت أن كثيراً من الجرائم التي يقترفها بعض المصابين في سلوكهم انما جاءت نتيجة لفقرهم وبؤسهم أو لجشعهم على تحصيل المادة ، وقد اندفع اكثر الجيش الذي خرج لحرب الامام الحسين (ع) حينما مناهم ابن مرجانة بزيادة مرتباتهم التي يتقاضونها من الدولة^(٣٣).

الخاتمة

لقد كانت الروح القبلية هي العنصر البارز في حياة المجتمع الكوفي ، وان الوضع العام في مدينة الكوفة كان ذا ألوان مختلفة من الشيعة الحقيقيين وتوسطاً بالخوارج الى العثمانيين والأمويين. وليس صحيحاً ما غلب على الاسماع أن الكوفة كانت كلها من الشيعة فان المواليين الحقيقيين الذين يعرفون الإمام (عليه السلام) على حقيقته ووجوب طاعته كانوا نسبة قليلة منهم ، والنسبة الاكبر محبين يفضلونهم على الامويين .

ان مواقع القوة والنفوذ كانت بيد غير الشيعة المواليين للائمة (عليهم السلام) نتيجة لحكم معاوية الذي استمر عشرين سنة وهذا طبعاً في الحكومات المستبدة ، فكان أصحاب المال والقادة ورؤساء العشائر والعرفاء وغيرهم يوالي أكثرهم الحكومة الأموية فان مناصبهم وأطماعهم متعلقة بالحكومة.

لم يكن الوعي الديني عند الشيعة بالعنوان العام في ذلك الوقت كما نعرفه اليوم عند الشيعة الإمامية بالنسبة لمكانة ومعرفة حق الإمام (عليه السلام) المفروض الطاعة ، وذلك نتيجة ما عمله الخلفاء قبل الامام علي (عليه السلام) من تشويه لمبدأ الإمامة خاصة ومبادئ الاسلام عامة.

الملخص:

تعد مدينة الكوفة من أهم المدن العربية والإسلامية ، لما لها من مكانة دينية وموقع جغرافي مهم ، بالإضافة إلى الوقائع المهمة التي توالى على أرضها. وقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في صياغة كثير من الأحداث ، ناهيك عن أثرها في تبلور كثير من المسارات العلمية والثقافية.

كانت الكوفة أُمّية قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها وعاداتها وتقاليدها فكان فيها العربيّ والفارسيّ والنبطيّ والسريانيّ إلى جانب العبيد وغيرهم. وأما القبائل العربية التي سكنت الكوفة فكانت عبارة عن القبائل اليمنية وهي تشمل: قضاة، غسان، بجيلة ، خثعم ، كندة ، حضرموت ، الأزدي ، مذحج ، حمير ، همدان ونخع. والقبائل العدنانية وتشمل: تميم وبني العصر. وكذلك كان فيها قبائل بني بكر وهي عبارة عن: بني أسد ، غطفان ، ومحارب ونمير.

وهناك قبائل عربية أخرى استوطنت الكوفة وهي: كنانة وجديلة وضبيعة ، وعبد قيس وتغلب وأياد وطى ، وثقيف وعامر ومزينة.

وقد ساهمت العصبية القبلية في عدم وجود حالة وفاق اجتماعي ، حتى إذا حصل وفاق في مكان ما كان سريعاً ما يتمّ القضاء عليه ، حيث كان الأساس هو التآمر. إنّ التركيب غير المتوازن والغالب على هذه المدينة ، قد منح بعض المجموعات القدرة على تغيير السياسة الحاكمة في كلّ آن، وأن يجذب المجتمع نحو جهة معينة أخرى.

ومن خلال هذا البحث سنتحدث بمزيد من التحقيق عن طبيعة المجتمع الكوفي ، فإنّه المرأة الذي تنعكس عليه الأحداث الهائلة التي لعبت دورها الخطير في تاريخ الإسلام السياسي ، وأن نبين العناصر التي سكنت الكوفة وننظر إلى طبيعة الصلات الاجتماعية فيما بينهما ، والحياة الاقتصادية التي كانت تعيش فيها اثناء وقوع معركة الطف واثار التكوين الاجتماعي في ردود المجتمع الكوفي ازاء تلك الاحداث .

الهوامش :

- ١- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .
- ٢ - البراقبي ، تاريخ الكوفة ، ص ٢٠٢ .
- ٣- المصدر نفسه .
- ٤- حياة الإمام الحسين ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ - ٤٤٥ .
- ٥ - شرح نهج البلاغة ، ج ١٣ ، ص ١٦٧ .
- ٦ - ابن سعد ، طبقات ابن سعد ج ٦ ، ص ٤ ؛ ابن فقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٦٦ .
- ٧- الصدوق ، امالي ، ص ٣٢٢ .
- ٨ - شمس الدين ، ثورة الامام الحسين (ع) ، ص ٧٤ - ٧٧ .
- ٩- بن طاووس ، اللهوف ، ص ٥١ ، ٦٧ .
- ١٠- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .
- ١١- الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣١ .
- ١٢- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ ؛ بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ١٢٧ .
- ١٣- ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج ٢٤ ، ص ٢٦٦ .
- ١٤ - بن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج ٣ ، ص ٤١٤ .
- ١٥- الصدوق ، الخصال ، ص ٦٤٤ .
- ١٦- الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج ١٠ ، ص ١٤ .
- ١٧- البخاري ، التاريخ الكبير ، ج ٤ ، ص ٢٦٦-٢٦٧ .
- ١٨- ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ٧١٠ ؛ القرطبي ، الاستيعاب ، ج ٣ ، ص ١١٧٢ .
- ١٩- المصدر نفسه .
- ٢٠ - الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٦٧ .
- ٢١- الطبرسي ، الإحتجاج ، ج ٢ ، ص ١٧ .
- ٢٢- الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٢٥ .
- ٢٣- ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٣٧ .
- ٢٤- المفيد ، الإرشاد ، ج ٢ ، ص ٦٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٤٤ ، ص ٣٧٠ .
- ٢٥- مقاتل الطالبين ، ص ٦٧ .
- ٢٦- الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٢١ .
- ٢٧- شمس الدين ، ثورة الامام الحسين (ع) ، ص ٧٤ .

٢٨- المصدر نفسه .

٢٩- ماسينيون ، خطط الكوفة ، ص ١٨ .

٣٠- المصدر نفسه .

٣١- خليف ، حياة الشعر في الكوفة ، ص ١٦٨ .

٣٢- الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

٣٣ - مختصر تاريخ البلدان ، ص ١٦٦ .

قائمة المصادر

- ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تعليق عادل احمد الرفاعي ، بيروت ، ١٩٩٦ .

- ابن الجوزي ، سبط الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن ت ٦٥٤ هـ ، تذكرة خواص الامة في خصائص الائمة تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة نينوى ، طهران ، د.ت .
- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

- ابن سعد ، محمد بن منيع ، (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

- ابن الفقيه الهمداني ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق ت ٣٤٠ هـ ، مختصر البلدان ، تحقيق يوسف الهادي ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ .
- ابن طاووس ، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر ت ٦٦٤ هـ ، مقتل الحسين (اللهوف في قتلى الطفوف) ، (ط ١ ، قم ، ١٩٩٦ .

- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين الانصاري الإفريقي (ت: ٧١١ هـ) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، ١٩٨٤ .

- ابن نما الحلبي: محمد بن جعفر بن ابي البقاء (ت: ٦٤٥ هـ) ، مشير الأحرار .
- أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ) ، مقاتل الطالبين ، مؤسسة دار الكتاب ، قم ، ط ٢ ، ١٩٦٥ .

- البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي ، التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
- البراقبي ، حسين بن السيد احمد النجفي ، تاريخ الكوفة ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- بن حجر ، ابي الفضل شهاب الدين بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، (ط ١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٥٤١٥ / ١٩٩٤ م) .
- بن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام هارون ، د.م ، ١٩٦٥ .
- خليف ، يوسف ، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، المكتبة العربية ، ١٩٩٥ .
- الخوئي ، ابو القاسم ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، مؤسسة الامام الخوئي ، ١٩٩٢ .
- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ) ، الاخبار الطوال ، دار احياء الكتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) ، الخصال ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٩٩٠ .
- الطبرسي ، ابي منصور احمد بن علي بن أبي طالب ت ٥٦٠هـ ، ١٢٥. الاحتجاج ، تحقيق محمد باقر الخرسان ، منشورات دار النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٦٦ .
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الطبري ، بيروت ، ٢٠٠٥ .
- القرشي ، باقر شريف ، حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وتحليل ، انتشارات مدرسة الايرواني ، قم ، ١٩٩٢ .

-
- القرطبي ، يوسف عبد الله محمد عبد البر أبو عمر (ت: ٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ .
 - لويس ماسينيون ، خطط الكوفة وشرح خرايطتها ، تحقيق: تقي بن محمد المصعبي ، دار الوراق للنشر ، د.ت .
 - المجلسي ، محمد باقر (ت: ١١١١هـ) ، بحار الانوار ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ، ١٩٨٣ .
 - المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت: ٤١٣هـ) ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، دار المفيد ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٣ .